كتاب الفنون لابن عقيل

أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد البغدادي الظفري الواعظ الفقيه الأصولي المقرئ الحنبلي كان من أعلام الاسلام ونوابغه في القرن الخامس للهجرة ، وقد أدرك القرن السادس . ولد ببغداد سنة « ٤٣١ » ونشأ فيها نشأة المتعلمين ، المنسمين بخدمة الدين ، وقد ذكر هو شيوخه ، كما جاء في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ج ١ ص ١٧١ — ٢ » وفيهم كثرة ، تشعر بشيء من الافتخار نزا في نفسه عند ذكره لهم ، وهو افتخار شريف الا أنه يَرْبِكُ الباحث عن ذوي الآثار الحسنة في ثقافته الدينية وثقافته الأدبية من شيوخه . هذا الى أن ابن رجب ذكرهم بكناهم وأن اللذين قاما على نشر ذيل الطبقات « المستشرق الفاضل هنري لاووست الفرنسي الباذل مجهوده في نشر الثقافة الحنبلية » ، و « الدكتور الأديب سامي الدهان » لم يستطيعا أن يَردّا الكنى الى أسمائها ، ولكنهما خرجا من عهدة النشر العلمي بأن وضعا فهرستين أحدهما « للآباء » والآخر « للأبناء » فضلاً عن فهرست الأسماء وفهرست الأنساب ، فان لم يرض قارئ الكتاب بذلك فليرضخ رأسه به ، فلا يكلف الله نفساً الا وسعها ، ولقد وقفت هماتهما في ذلك عند الاحالة على اختلاف النقول والمنقول ؛ ولقد جاء في سيرته « ص ١٧٣ » ان شيخه في علم الأصول « أبو الوليد » وهو في فهرست الكنى « ابو الوليد » أيضاً . وأصبح شيخه هذا في ص ١٧٤ ، ص ١٩٠ » « ابن الوليد » وهو في فهرست الأبناء « ابن الوليد » أيضاً . ونقدنا لنشر هذا الكتاب ، سيظهر في مجلة المجمع العلمي العراقي بشكر كثير ومؤاخذات كثيرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والحقيقة أن الشيخ الذي درس ابن عقيل عليه علم الكلام هو ابن الوليد أبو علي محمد بن احمد الكرخي المعتزلي المتفلسف المتوفى سنة «٤٧٨» المدفون في الشونيزية «مقبرة الشيخ جنيد» بالجانب الغربي من بغداد [١] .

وكانت وفاة العلامة ابن عقيل في جمادى الآخرة سنة «٥١٣» ودفن في دكة الامام احمد بن حنبل في الشمال الغربي من العاظمية . وترجمته مشهورة معروفة في أكثر كتب التاريخ التي ألفت بعد وفاته كالمنتظم لأبي الفرج بن الجوزي ومرآة الزمان لسبطه ، وتاريخ الاسلام للذهبي ، وطبقات القراء له أيضاً ، وغاية النهاية لشمس الدين الجزري ، وشذرات الذهب فضلاً عن ذيل الطبقات لابن رجب ، قال الذهبي : «تفقه على أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء وأخذ علم الكلام عن أبي علي بن الوليد وأبي القاسم ابن التبّان ومن ثم حصلت فيه شائبة تجهُّم واعتزال وانحراف عن السنة (كذا) وكان إماماً مبرزاً متبحراً في العلوم ، يتوقد ذكاءً . وكان أنظر أهل زمانه . قال أبو طاهر السلفي : ما رأت عيناي مثله ، ما كان أحد يقدر أن يتكلم معه لغزارة علمه وبلاغته وحسن ايراده وقوة حجته . وقد سقت جملةً من أخباره في تاريخي الكبير [٢]» .

---

(١) ابن الجوزي في المنتظم «ج ٨ ص ٢٣٥ ، ٢٤٨» و «ج ٩ ص ٢٠» وابن الأثير في «الكامل حوادث سنة ٤٧٨» والقفطي في «المحمدون من الشعراء» «نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٣٥ الورقة ١٠» والشمس الذهبي في تاريخ تاريخ الاسلام «نسخة المتحف البريطانية (٥٠١٥٠) الورقة ١٦٤» وذكر القفطي في ترجمة يحيى بن عيسى بن جزلة الحكيم الطبيب من تاريخ الحكماء وابن خلكان في ترجمته أيضاً من الوفيات ، وابن العبري فيما من مختصر الدول أن يحيى ابن جزلة كان نصرانياً فلازم ابن الوليد المذكور لقراءة المنطق عليه ، فحسن له الاسلام ودعاه اليه وذكر له الدلائل الواضحة حتى استجاب له وأسلم وصنف رسالة في الرد على أهل دينه الأول ، ووقف كتبه قبل موته على تربة الامام ابي حنيفة النعمان ومدرسته .

(٢) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار «نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٨٤ الورقة ١٣٩» .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد ألف ابن عقيل كتباً جليلةً منها كتاب « الفنون » وكتاب « كفاية المفتي » في المذهب الحنبلي ، قال سبط ابن الجوزي : « وكتاب الفنون وهو مائتا مجلدة ، جمعه طول عمره واختصر منه جدي [ابوالفرج] عشر مجلدات ، فرّقها في تصانيفه ، وقد طالعت منه في بغداد في وقف المأمونية [1] نحواً من سبعين ، وفيه حكايات ومناظرات وغرائب وعجائب وأشعار » [2] . ولم يصرّح ابن الجوزي بالاختصار الذي أشار اليه سبطه بل قال : « وجعل كتابه المسمى بالفنون مناظر لخواطره وواقعاته ، ومن تأمل واقعاته فيه عرف غور الرجل [3] » . وقال الذهبي في الكتاب الذي أشرنا اليه ونقلنا منه « صاحب كتاب الفنون الذي بلغ أربعمائة وسبعين مجلداً » .

وقال ابن رجب : « ولابن عقيل تصانيف كثيرة في أنواع العلوم وأكبر تصانيفه كتاب الفنون وهو كتاب كبير جداً ، فيه فوائد كثيرة جليلة في الوعظ والتفسير والفقه والأصلين والنحو واللغة والشعر والتاريخ والحكايات ، وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت له ، وخواطرُه ونتائج فكره قيّدها فيه ، قال ابن الجوزي : وهذا الكتاب مائتا مجلدة ، وقع لي منه نحو من مائة وخمسين مجلدة ، وقال عبد الرزاق الرسعني في تفسيره : قال لي أبو البقاء اللغوي [العكبري] سمعت الشيخ أبا حكيم النهرواني يقول : وقفتُ على السفر الرابع بعد الثلاثمائة من كتاب الفنون . وقال الحافظ الذهبي في تاريخه : لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب ، حدثني من رأى المجلد الثلاثي بعد الأربعمائة ، قلت : وأخبرني

(١) المأمونية هي محلة عقد القشل والهيتاويين وصبابيغ الآل الحالية في شرقي بغداد ، ووقفها هو خزانة الكتب التي انشأتها السيدة زمرد خاتون الشافعية زوج الخليفة المستضيء بأمر الله وأم الخليفة الناصر لدين الله في رباطها « تكيتها » بالمحلة المذكورة ، وقد زال الرباط وزالت الخزانة من الوجود .

(٢) مرآة الزمان « ج ٨ ص ٨٤ » من طبعة حيدر أباد الدكن .

(٣) المنتظم « ج ٩ ص ٢١٤ » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عمر[١] بن علي القزويني ببغداد قال : سمعت بعض مشايخنا يقول هو ثمانمائة مجلدة[٢]» .

هذا خبر كتاب « الفنون » الذي وسمنا مقالتنا باسمه ، وهذا وصفه ، ولكن خزائن الكتب التي اطلعنا على أثباتها ليست فيها أجزاء من هذا الكتاب ، في ظاهر تسجيلها ، فهل ضاع مع جملة من الكتب الاسلامية العظيمة ؟

إن حاجي خليفة لم يذكر هذا الكتاب في « كشف الظنون » وهو لكبره وكثرة مجلداته كان صعباً اقتناؤه وانتساخه ، والصعوبة من حيث العمل والنفقة ، على أن العلماء ومن كبارهم أبو الفرج بن الجوزي اختاروا منه واختصروا وانتخبوا واستفادوا . وكثيراً ما رأيناهم ينقلون في كتبهم من ذلك الكتاب[٣] أو يقولون « قال ابن عقيل » في الأمور العجيبة ، ولكن أين هذه النقول من « سبعين وأربعمائة مجلدة » ؟

نحن لا نظن أن الكتاب قد استهلكه النقل أو زال من الوجود بدلالة أننا عثرنا على جزء منه ، في دار الكتب الوطنية بباريس ولعل جزءاً آخر في خزانة أحمد باشا تيمور بدار الكتب المصرية ، وان لم يوسما بأنهما من أجزاء كتاب الفنون ومجلداته . فأما جزء دار الكتب الوطنية بباريس فقد فهرسه مؤلف فهرستها في الرقم « ٧٨٧ » من العربيات بالاسم الذي زوّره عليه أحد المزوّرين وهو « كشف الغمة في المسائل المختلفة في الأربع مذاهب (كذا) للامام المحقق الشعراني » . وفي الحق أن الكتاب لا يقتصر على المسائل المختلفة في المذاهب الأربعة فتصح عليه هذه التزويرة الكبيرة ، بل يحتوي على ماليس له صلة

(١) هو الشيخ سراج الدين الفقيه الشافعي المدفون في جامع محلة سراج الدين بشرقي بغداد « م : ٧٥ » .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة « ج ١ ص ١٨٨ » .

(٣) كما فعل ابن النجار في تاريخه في ترجمة عبد الملك الجويني قال « قرات في كتاب الفنون لأبي الوفاء علي بن عقيل » وفي ترجمة ابن المؤلف « عقيل بن علي بن عقيل » ونقل عنه غير ذلك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالدين أصلاً ، كما سنذكره منه وما سنشير اليه بذكر اسمه أو وسمه ، ثم إن الشعراني وهو عبد الوهاب بن أحمد المتصوف المشهور ، توفي سنة « ٩٧٣ هـ » ، وهذا الكتاب قد جاء في آخره ، في الورقة « ٢٦٧ » ما نصه : « والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله وسلم . وقع الفراغ منه ضحوة نهار يوم الخميس ثامن عشر شوال سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، كاتبه العفيف بن المبارك ابن الحسين بن محمود [1] رحمه الله من دعا له بالعفو ولوالديه بالمغفرة وهو حسبي ونعم الوكيل » ، فكيف تصحُّ نسبة كتاب منسوخ سنة « ٥٣٤ هـ » الى عالم توفي سنة « ٩٧٣ » ؟ هذا هو الذي حدانا على تفحصه وتقصي أمره والبحث عن مؤلفه ، فألفينا أنه مجلدة من مجلدات كتاب « الفنون » لأبي الوفاء بن عقيل المذكور بعد التأمل الرشيد والتفكير المديد .

وقد استدللنا على ذلك بعدة أمور :

« أولها » : أن أخبار الكتاب وحوادثه جرت في عصر ابن عقيل .

و « الثاني » : أن مضامين الكتاب من الأنواع التي أشاروا اليها في وصف كتاب الفنون بالتحقيق والتأكيد من موعظة ومناظرة واستفتاء وخبر طريف وشعر حسن .

و « الثالث » : أن الرجال المذكورين فيه كان لابن عقيل اتصال بهم لا شك فيه ، ولا سيما اتصال الدراسة واتصال الاستعانة ، كما جاء في الورقة (١٨) « أخبرنا شيخنا القاضي الامام ابو يعلى محمد بن الحسين ابن عقيل في الفقه الحنبلي ، كما ألمعنا اليه ، كما أنه شيخ غيره فيه .

---

(١) هنا كانت كلمة نسبه وقد محاها المزوّر أو غيره زيادة في التعمية : وهو أبو محمد عفيف بن المبارك بن الحسين بن محمود الخياط الوراق من أهل باب الأزج ببغداد « محلة باب الشيخ ورأس الساقية » . كان صهر الشيخ الزاهد عبد القادر الجيلي الحنبلي ، وكان يورّق للناس توريقاً قليل الضبط بخطه الحسن وصح الحديث ، توفي سنة « ٥٧٥ » كما في تاريخ ابن النجار (في باب العين) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

و « الرابع » : أن مؤلفه حنبليّ ولا يذكر اسمه في المناظرة وانما يقول : « قال الحنبليّ » تواضعاً وتأدباً .

و « الخامس » : أن مؤلف الكتاب من المحلة الظفرية[1] ببغداد ، بدلالة ذكره لها كما في الورقة « ٣٢ » ونصه : « وجرى بمجلسنا بالظفرية مسألة آلة اللهو هل يجب ضمان احراقها ؟ » وفيها الورقة « ١٢٠ » قال : « جرى بمجلس الظفرية مسألة المسلم والأقارب قبل قسمة الميراث » . وهذا لا ينفي أنه سكن أو وعظ في غيرها .

و « السادس » : أن المولف نقل من كلام المعتزلة ، وخصوصاً من كلام شيخه ابن التبّان المقدم ذكرُه وان لم يشر الى تلمذته عليه ، فقال في الورقة (٨٢) : استدلّ بعض أصحاب الحديث ... فأجابه شيخ معتزلي مقدم عليهم بالجانب الغربي يعرف بابن التبان في الكرخ بمجلس عقده ببعض دورها[2] » .

و « السابع » : أنه صرّح بمعونة أبي منصور عبد الملك بن يوسف الحنبلي السريّ له ، كما في الورقة « ٢٣٥ » من الكتاب ، وهذا السري من الذين يذكرون في ترجمة ابن عقيل من كتب التاريخ ، كما في المنتظم لابن الجوزيّ قال : « وأقبل عليّ أبو منصور بن يوسف فحظيت منه بأكثر من حظوة وقدّمني في الفتاوى مع حضور من هو أسن مني وأجلسني ...[3] » .

و « الثامن » : هو أن كنيته « أبا الوفاء » وردت في هامش الورقة (٨٨) من نسخة باريس القيمة النسخ .

---

(١) المحلة الظفرية من محال بغداد الشرقية أيام بني العباس ، وكان حدها من جادة سور الظفر التي دفن حيالها الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي الصوفي الكبير القائم قبره الى اليوم ، نهي بين محلة الفضل وخان اللاوند من الشمال وعزات طويلات والجوبة من الجنوب ، وقد خرب كثير منها .

(٢) وسنذكر ما نقله عن معتزلي في باب الحسن والقبيح من حيث الشرع والعقل .

(٣) المنتظم « ج ٩ ص ٢١٣ » ونقله ابن رجب في ذيل الطبقات « ج ١ ص ١٧٣ » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والجزء الآخر محفوظ في الخزانة التيمورية كما ذكرنا آنفاً، وقد كتب عليه «كتاب الجدل في الأصول للعلامة علي بن عقيل البغدادي الحنبلي» وهو مخطوط سنة «٥٦٤»[1] . وما هو عندي إلا مجلدة من كتاب الفنون كما أشرت اليه آنفاً .

[مقتبسات من كتاب الفنون]

قال أبو الوفاء علي بن عقيل في تقديم المجلدة المحفوظة في دار الكتب الوطنية بباريس برقم «٧٨٧» من العربيات :

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله حق حمده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم ، أما بعد فان خير ما قطع به الوقت ، وشغلت به النفس ، فتقرُّب به الى الرب — جلت عظمته — طلب علم أخرج من ظلمة الجهل الى أنوار الشرع ، وأطلع به على عاقبة محمودة يعمل لها ، وغائلة مذمومة يتجنب ما يوصل اليها وليس ذلك إلا العلم الذي يُصلح الاعتقاد ويخلصه من الأهواء ويصلح الأعمال ويصفّيها من الأدواء وهما علمان :

علم الأصول ومبناه على التأمل والاعتبار ، وعلم الفقه ومبناه استخراج معاني الألفاظ الشرعية وأخذ الأحكام من المنطوق به للمسكوت عنه ، وذلك الذي شغلت به نفسي ، وقطعت به وقتي ، فما أزال أعلّق ما أستفيده من ألفاظ العلماء ، ومن بطون الصحائف ومن صيد الخواطر التي تنثوها[2] ، المناظرات والمقابسات

---

(١) ذكرى احمد تيمور باشا « ص ٢٣ » وقد ذكر في فهرست الجامعة العربية للمخطوطات العربية المصورة « ص ٢٠ » جزء في الأصول صنفه الشيخ أبو الوفا علي ابن عقيل المذكور ، وهو مصور على نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق محفوظة مع كتب الحديث ، مع انه مذكور في الفهرست مع التفسير وعلوم القرآن . وقال للفهرس « وهوى القرآن » فتأمل ذلك .

(٢) غير منقوطة في الأصل ولا تزال تحتاج الى تحقيق او هي «تنثرها» من النثر.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في مجالس العلماء ومجامع الفضلاء طمعاً في أن يعلق بي طرف من الفضل أبعد به عن الجهل ، لعلي أصل الى بعض ما وصل الرجال قبلي (كذا) ولو لم يكن من فائدته عاجلاً إلا تنظيف الوقت عن الاشتغال برعونات الطباع التي تقطع بها أوقات الرعاع ، وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل » . فتأمل هذا التواضع النبيل والتعليل الجميل للاشتغال بما كان هو في سبيله .

شذرة وعطرة « و ١ »

ما أشدّ شؤم المعاصي ؟ بينا يسمع قول الله للملائكة : اسجدوا لآدم حتى سُمع النداء : اهبطوا منها جميعاً ، بينا يرفل في حلل السندس والاستبرق حتى طفق يخصف على عورته من الورق . إذا أردت أن تتلمح القدر السابق فانظر الى قوله السابق : « إني جاعل في الأرض خليفة . خليفة في الأرض ما يصنع في الجنة ؟ ساقته الكلمة السابقة والعلم السابق الى المستقر « ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين » .

التزويج بأقل من المهر « و ٧ »

جرى بمجلس نور الهدى [1] ذي الشرفين الزينبي مسألة « الأب » اذا زوّج

(١) هو ابو طالب الحسين بن محمد بن عبد الوهاب العباسي الزينبي ، نسبة الى جدته الكبرى زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس من فضليات العباسيات وراويات الحديث النبوي وهذا معنى تلقيبه بذي الشرفين ، تفقه ابو طالب الزينبي على قاضي قضاة الدولة العباسية أبي عبد الله محمد الدامغاني الحنفية ، جدّ الأسرة الدامغانية ببغداد ، وعلى ابي بكر الرازي ، صاحب القدوري ، وبرع في الفقه الحنفي ، ودرّس في مدرسة الامام ابي حنيفة خمسين سنة ، وولي نقابة النقباء للعباسيين والطالبيين ثم استعفى منها ، ولقب بنور الهدى ، نظام الحضرتين العباسية والسلجوقية ، وكان زاهداً عابداً ما حمل ديناراً ولا ادّخره ، توفي سنة « ٥١٢ » عن « ٩٢ » سنة ودفن عند الامام ابي حنيفة . « المنتظم ج ١ ص ٢٠١ » و « الجواهر المضية في طبقات الحنفية ج ١ ص ٢١٩ » وقد تصحف لقبه في الجواهر المضية الى « نظام ن الخضر » وانما هو « نظام الحضرتين » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابنتيه بدون مَهر مثلها ، فاستدلّ فيها حنبلي بأن النكاح ليس المال فيه أصلياً في القصد بل تابع ، والأصل إنما هو طلب الكفاءة ، والحظ الأكبر ذلك . والأب هو الغاية في الاشفاق ، فلا تذهب نحوه تهمة ، فاذا نقصها من الصداق عُلم أنه دفع ذلك وسدّ الخلل فيه بزيادة في الجمال والكمال الذي تدوم به العشرة وتصفو به الألفة ، من أخلاق تنضمّ الى كرم الأصل وشرف النسب فلا يُغيرها ولا يؤذيها ولا ينقصها حقاً من حقوقها ...

شجاعة عبد الله بن الزبير « و ١٤ »

روى ابن دُريد قال أخبرنا السكن بن سعد الجرموزي قال أخبرنا علي بن نصر الجهضمي عن أشياخ من الأزد ممن أدرك مَن شهد الجمل قال : لما رجع ابن الزبير من البصرة الى المدينة مرّ بمنازل بني مُجاشع من بني تميم ليلاً ، فبينا هو يسير ومعه مولى يقال له « زيد » إذ سمع صهيل البسّام فرس الزبير . فقال له مولاه : أشهد بالله إنه لصهيل البسام . وكان ابن جرموز قد أخذه . فقال له ابن الزبير : ويحك والله إنه لصهيل الأشقر ، والله لا أرجع الليلة حتى آخذه أو تعوقني دونه العوائق . فقال له مولاه : أذكرك الله لما تركته وانطلقت فاني أخاف أن تقتل ، والله ما نجوت من الموت إلا بما بقي لك من أجلك وقد عاينته عياناً . فقال عبد الله لمولاه : اثبت لي مكانك وهمّك ما بينك وبين نصف الليل فان جئتك فذاك وإلا فانطلق وانعني الى أسماء . ثم ترجل واشتمل بسيفه وصمد لصوت الفرس ، فعرض له رجل من الحيّ في جنح الليل فضربه ابن الزبير فقتله حتى انتهى الى الفرس فأخذه من رباطه وجاء به يقوده حتى انتهى الى مولاه فانطلقا جميعاً ، فقال ابن الزبير — رضي الله عنه — في ذاك :

يذكّر في الزبير صهيلُ طِرْفٍ تناوله ابن جرموز بغدْرِ
فقلت لصاحبي أَرِدْ قليلاً لأقضي حاجتي ووفاء نذْري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فان أرجع فذاك رجوعُ مُنجِ ... وإلا فانعَني أو بُحْ بسرّي
فجئتُ أقودُهُ والنجمُ عالٍ ... وما هي من أبي بكرٍ بنكرِ
وقد كان الزبير فتى مَعدٍّ ... إذا فزِعوا وفارس حي فهرِ
وأجودَهم على العلاّت كفّاً ... وأعودَهم على عُسرٍ بيسرِ
وأقومَهم بأمر الحقّ فيهم ... وأتركَهم لشبهة كلّ أمرِ
وقالوا قد هوت لأبيك أمٌّ ... فقلتُ لهم ألا لا لست أدري
أرى أمرين في عُرفٍ ونكرٍ ... ولستُ بعاذرٍ إلا بعُذْرِ
فان تكن المنيةُ أقصدَتْهُ ... فكلُّ فتىً إلى الغايات يجري

أخلاق خالد بن برمك « و ١٢، ١٣ »

... ركب أبو عبيد الله كاتب المهدي ... فعرض له في طريقه مُعاذ ابن مسلم وخالد بن برمك ، فترجّل له مُعاذ ، ولم يفعل ذلك خالد ، فحقدها أبو عبيد الله في نفسه ، فلما نزل أقبل على معاذ وأكرمه ، وجفا خالداً . فلما سخط المهدي على أبي عبيد الله قعد عنه مُعاذ وأتاه خالد بن برمك فبذل له مالاً جليلاً وأعانه بنفسه وماله وجاهه كل المعونة ، ولما رأى خالد أبا عبيد الله قد عجب من ذلك مع ما فعل من جفائه قال : « يا أبا عبيد الله إن النفس التي منعتني النزول لك ذلك اليوم هي التي بعثتني على ما ترى من وفائي لك في هذا الوقت وإن النفس التي بعثت مُعاذاً على نزوله لك هي التي أقعدته عنك الآن . قال حنبلي [يعني أبو الوفاء بن عقيل نفسه] : هذه والله المكارم التي عاش الناس في بحبوحتها قديماً وعدمناها في أواخر أعمارنا لموت الكرماء ، حاشى ظهير الدولة [1] خازن إمامنا .

(١) ذكر في الورقة « ٧٢ » انه يلقب أيضاً « مجد الدين » فلعله مجد الدين ابو المعالي هبة الله بن محمد المعروف بابن المطلب البغدادي ، صاحب ديوان الزمام أيام الخليفة المقتدي بأمر الله والخليفة المستظهر بالله ، وقد قلده هذا الأخير الوزارة وتوفي سنة « ٥٠٣ » كما في تلخيص معجم الألقاب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

شجاعة علي بن أبي طالب وفضله (و ١٣، ١٤)

قيل لأمير المؤمنين علي عليه السلام ـ لِمَ لا تلبس الجديد وأنت تقدر عليه ؟ قال : هو أخشع لقلبي . وقيل له : لِمَ لا تجعل لدرعك ظهراً ؟ قال : لأني لم أدخل فأحدث نفسي بالفرار والتولي .

روى الأنباري قال أخبرني أبي قال حدثنا محمد بن عمران الضبي قال : لما كثر أصحاب الحديث على شريك وقالوا له : «يا أبا عبد الله حدثنا حديث رسول الله (ﷺ) : تقتل عماراً الفئة الباغية» . غضب وقال : أترون نفراً لعليّ أن يقتل عمارٌ معه ؟ إنما الفخر لعمار في أن يقتل مع علي ـ رضي الله عنهما ـ .

الصلاة على جنازة الرجل والمرأة معاً «١٣»

كانت لأم كلثوم بنت علي ـ عليه السلام ـ ثلاثة أشياء : زوّجها أبوها من عمر ـ رضي الله عنه ـ ولم يستأمرها . واستشهد عمر ـ رضي الله عنه ـ فلم ينقلها أبوها من منزله الليلة التي أصيب فيها ، وقال : الدار للمسلمين وليست لعمر ولو كانت ملكاً له لنقلتها . وتوفيت وابنها زيد بن عمر في ليلة ، فصلى عليها ابن عمر فجعل الابن مما يليه وجعلها مما وراء الابن . وعُرف بذلك كيف السنّة في الصلاة على المرأة إذا اتفق معها رجل .

شريف[1] سخيف

لابن حجاج[2] في شريف آذاه :

---

(١) الشريف يُراد به يومئذ أحد العلويين أو أحد العباسيين كالشريف الرضي والشريف أبي تمام الزيني ، ولكنه كان على العباسي أشهر ، كما جاء في محاضرات السيوطي.

(٢) الحسين ابن حجاج الشاعر الماجن المشهور ، من أهل القرن الرابع للهجرة ، وديوانه لا يزال مخطوطاً وفيه فحش من القول كثير ، وفي اليتيمة للثعالبي نماذج من أقلّه فحشاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

رأيتم قطُّ أحمقَ من شريفٍ يصرُّ على أذى رجل سخيف ؟
فكان كمثل عطّار تدلى فنكّس رأسه جوف الكنيفِ

شعر محمد بن عمر الأنباري « و ١٧ »

قال أبو الحسن محمد بن عمر الأنباري في ابن بقية الوزير لما صلب [1] :

لم يلحقوا بك عاراً إذ صُلبت بلى باؤوا بعارك ثم استرجعوا ندَما
وأيقنوا أنهم في فعلهم غلطوا وأنهم نصبوا من سؤددٍ عَلَما
فاستدركوه وواروا منك طَوْد عُلىً بدفنه دفنوا الافضال والكرما
لئن بليتَ فما تبلى ندالكَ ولا يُنسى وكم هالكٍ يُنسى إذا قدُما
تقاسم الخلق حسن الذكر منك كما ما زال مالُكَ بين الخلق مقتسما
بقية الجود فينا كنت فانقرضتْ فليس نعدَم مذ فارقتنا العدَما
وكنت لله فينا أنعُماً سُلبتْ ولو بقيتَ لنا لم نسلب النِّعما
وكيف بنساك حرٌّ لم يجد عوضاً مُذ مُتَّ عنك ولا يبكي عليك دما ؟!

وحشي والراشدان « و ٢٣ »

قال وحشي لما قدمت المدينة وقد وُلي أبو بكر ، سألني كيف قتلت حمزة ؟ فأخبرته . فقال : غيبْ وجهك عني . فكنت أخالفه الطريق فاذا سلك طريقاً سلكتُ طريقاً أخرى حتى توفي وُولي ابن حنتمة — يعني عمر بن الخطاب — (قال حنبلي : وقوله ابن حنتمة بدلٌ على ما يدلُّ عند العقلاء) فأرسل إليَّ فدعاني فقال : كيف قتلت حمزة ؟ فأخبرته . فقال : لا تساكنّي في المدينة . فخرجت الى الشام ، فلما ولي أمير المؤمنين مُعاوية أنزلني داراً وأجرى عليَّ رزقاً من بيت المال ...

(١) أري أنه قال ذلك لما نزل من الخشبة للمصلوب — كان — هو عليها ، لأن مرثيته في صلبه هي التي قال فيها ابن الأنباري للذكور :

علو في الحياة وفي الممات لحق أنت احدى المعجزاتِ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من مواعظ ابن عقيل « و ٨٨ »

ما أعجب شأن العارف وأعجب شأن الخلق معه : تبذّل التجار منهم [١] في طلب الأرباح وتعبية الأموال ، ولم يُعابوا ، وتبذّل المحبون والعشاق والمتيّمون في محبة الأشخاص ولم يُلاموا ، وتبذّل قوم في محبة الخيل والطيور والصيد ولم يُعابوا ، وتبذّل قوم في عبادة بارئهم فكثر اللوام والعُذّال واستهجنت منهم الأحوال وقيل فيهم كل مقول وُنسبوا الى كل عظيم من الخطأ ومهول ، وقيل لهم ما لهم عقول ، ومعلوم أن المبتذل في الله لا يُلام عقلاً لأنه ليس فوق إنعامه إنعام ، ولا على إحسانه إحسان ، نعمته تنهال وبرُّه لم يزل ولا يزال ، يمدح على القليل وهو المعطي ، ويرضى باليسير وهو الموفق ، إنك لفي قول مختلف ، لا أرى لك ثبات قدم على ندم ولا وجوداً ولا موجوداً ، ما لهذا خلقت ولا بهذا أُمرت فارجع وأنِبْ ، واستغفر وتُبْ ، فقد رحل إخوانك سابقين وبقيت أنت مع المتخلفين .

نوبة روزجار « ١٧٨ »

سئلتُ عن نسوة يغزل بعضهن لبعض يسمينه « نوبة روزجار » وصفته أن تخرج كل واحدة قطناً تفرّقه عليهن فتحصل مبادلة بالعمل . قلت وبالله التوفيق : يجوز لأن الأعمال لا يدخلها الرّبا فأكثر ما فيه أن يكون غزل واحدة أجود من غزل الأخرى فهو ارتفاق بالأعمال .

تحسين العقل وتقبيحه « و ٩٥ »

حضرنا يوماً بدار الكتب [٢] بشارع ابن أبي عوف فتذاكرنا أمر العقل

(١) أي من الخلق للمقدم ذكرهم .

(٢) هي دار الكتب التي أسسها فرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال الصابي ، قال ابو الفرج بن الجوزي في حوادث سنة « ٤٥٢ هـ » « وفي رجب وقف ابو الحسن محمد بن هلال الصابي دار كتب بشارع ابن أبي عوف من غربي مدينة السلام ونقل اليها -

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتحسينه وتقبيحه ، فقال إنسان يميل الى مذهب أبي الحسن الأشعري : متى يثق العاقل بعقله وقد علم أنه لو قدّر فيما قبل ورود الشرع كيف حكم إيلام الحيوان وهدم بنيته لرآه بالعقل قبيحاً ، ولو قدّر إيصال اللذات الى نفسه بتقبيل الملاح من المُردان ولبس الحرير في الشتاء وسماع ما تحيا به الأنفس والقلوب من القيان لرآه حسناً ، إذ فيه تقوية النفس ورفاهية الجسم ورَوْح القلب ونعيم الجسد . فلما جاءت الشرائع لم يقنع بأن يُبيح إيلام الحيوان حتى جعل ذبحه تقرّباً اليه وقرباناً وحرّم أكثر النعيم وجعله بغياً منه وطغياناً ، فتركتْ هذه الأمور العاقلَ لا يحكم بعقله ولا يقبّح قبيحاً ، حكم العقل بقبحه ، وفوّض الأمور الى الشرع .

وكان بالحضرة رجل ينتحل العدل والتوحيد ، فأجابه : هل استدلالك هذا حسن أم قبيح ؟ فان قلت : حسن أو قبيح سألناك عن طريق تحسينه أو تقبيحه فان أجبت بانه العقل كفانا ذلك إبطالاً لما قررتَ ، وإن قلت : علمت ذلك بالشرع قيل لك أين النصُّ في كتاب الله وأين سنة رسول الله مما ذكرت ؟ على أنا نبسط الكلام ونفتح عن مجال الجدال حتى لا نضيّق عليك ، فنقول : أظننت أنّ تحسين إيلام الحيوان بعد تقبيحة بالعقل المجرد كونه إيلاماً ؟ كلا ولكن لما ثبت عندنا بأدلة العقول حكمة واضع الشريعة وانه لا يفعل القبيح ولا يشرعه وأنا لو جوّزنا ذلك لانسد علينا باب العلم بصدق السفراء ، لكنا لما سبق لنا العلم بأن الصانع القديم حكيم لا يفعل القبيح ثبت لنا أنه

– ألف كتاب » . وقال سبطه في حوادث السنة المذكورة في مرآة الزمان « وفي رجب وقفت دار الكتب بشارع ابن ابي عوف من غربي بغداد ونقل اليها ألف كتاب وذلك لأن الدار التي وقفها سابور الوزير بين السورين في الكرخ سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة احرقت لما دخل طغرلبك بغداد وتمزقت الكتب ونهب الباقي وحُمل أكثرها الى خراسان ودرس العلم . وللمكان الذي كانت فيه من حساب الكرخ ورواصفه » . وذكر ابن الفوطي في معجم الألقاب أنه وقف نحواً من أربعمائة مجلد في فنون العلم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا يؤيد كذاباً ، فثبت أنه لما أيد بالاعجاز أشخاصاً ، كانوا صادقين . فلما ثبت ذلك جاءت الشريعة بإبلام الحيوان لوجهٍ من وجوه الحكمة والمصلحة ، وليس في العقل تقبيح الابلام على الإطلاق ، بل بط الدبلة وألم الفصد والحجامة وشرب الأدوية ، كل ذلك إبلام ، وكذلك الردع عن القبيح بالحدود ، فكل ذلك حسن لما عاد به من صلاح الأجل وحفظ الكل . فالابلام الذي جاءت به الشرائع من هذا القبيل ، فأما من قبيل الابلام الذي وقع لا بحكمة فكلا . فسكت الأشعري » .

أنجد بن قيس التميمي « و ٤ »

بعث زياد الى معاوية رجلاً من بني تميم يقال له أنجد بن قيس ، وكان له غناء يوم صفين مع أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فقال له معاوية : أنت القائم في الفتنة علينا والمكثر عدونا ؟ فقال أنجد : يا أمير المؤمنين انها كانت فتنة عمياء ، نزا فيها الرضيع وخف الرفيع فاحتدمت وأكلت علينا ثم شربت ، حتى اذا حسرت ظلماؤها وكشف غطاؤها وآل الأمر الى مآله وصرح الحق عن محضه عرفنا خليفتنا وتركنا فتنتنا ولزمنا عصمتنا ومن يحدث متاباً لم يرد الله به عقاباً . فقربه معاوية وأحسن اليه .

مُستَنْبِحة « ٢١٥ »

ومن مستنبحات العرب قول عبد السلام الكناني :

ومستنبح والليلُ مُرْخٍ سدوله ... له رنةٌ تحت الدُجى ونعيقُ
وقد جاده نوء السماك بودْقهِ ... وريحٌ شمالٌ زفزَفٌ وبروقُ
دعاني وعَرض الدوّ بيني وبينه ... وفجٌ بعيد الجانبين عميقُ
فقلت له لبيك لبيك إنني ... اليك وربِ العالمين مشوقُ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقلت لعبدي أذكِ نارك معجلاً فهـذا وقود حاضر وحريقُ
فان يأتنا أو يهده ضوء نارنا بليلتنا هاتي فأنتَ عتيـقُ
فأثقب ناراً في يفاع محلّق وضرّمها ما استطاع فهي ذلوقُ
ترى شرراً كالقصر منها كأنها جمال عليها الزعفران ونوقُ
فأقبل مجهوشاً وقد سَلَّ جسمه فلم يبق إلا أعظم وعروقُ
فقلت له حياك ربك من فتىً أنخْ فمحلٌّ واسعٌ وصديقُ
وأبوٌ يرى حقّ الأبوّة واجباً عليه ومن بعد الحقوق حقوقُ
فأفرخ عنه الروع وارتدّ لونه وسكّنت منه القلبُ وهو خفوقُ

(بغداد) الدكتور مصطفى جواد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net